والرحلة ب Gا(شكلات والنتائج رحلة نقوم بها في ا(واد الدراسيةالمخصصة للنظرية الاجتماعية Hوفي وضع النظريات على حد سواء Hوهيرحلة محفوفة بالمخاطر ذاتها. ذلك لأن طبيعة علم الاجتماع ليست بتلكالكيفية التي >كننا من الانتقال رأسا Hمن دراسات عملية مليئة _علوماتعن الحياة الاجتماعية إلى النظرية الاجتماعية. فالنظرية الاجتماعيةبطبيعتها عامة Hوتدعي أن لها صلة بكل المجالات ا(ستقلة التي يتناولهاعلماء الاجتماع. ونحن لا نستطيع الانتقال مباشرة من دراسة اتجاهاتالعمال مثلا إلى نظرية معينة Hذلك أن أي نظرية ذات قيمة علمية يجب أنتعالج مسائل أكثر بكثير من اتجاهات العمال. وكرد فعل على هذا Hيذود الكثير ؟ن يرون أنفسهمأساسا كمنظّرين Hيذود هؤلاء عن أنفسهم بالتحصن بالكبرياء Hويكيلونالصاع صاع Gضد كل من يعاملهم باحتقار. كيف \كنإذن التعامل مع النظرية والحال هذه? ليس من ا(فيد التظاهر بأن باستطاعتناجعل النظرية سهلة Hبيد أن باستطاعتنا جعلها أسهل ؟ا هي عليه. و\كن صياغة ما قلناه بصورة أخرى Hوهي أن فهم النظرية مسألةتتعلق بتعلم التفكير نظريا أكثر منها بتعلم النظريات ذاتها. و\كن تشبيههذا الأسلوب من التعلم بتعلم لغة جديدة بطريقة بالغة الصعوبة Hأي ليسبطريقة تحصيل الكلمات تدريجيا وتعلم مختلف قواعد النحو Hوإqا عنطريق سماع اللغة وهي تتداول في أفواه أهلها Hبكل تعقيداتها Hولهجاتها Hوعاميتها وما إلى ذلك. فا(شكلات التي تدفع البشر إلىالنظرية هي ـ كما قلت أعلاه ـ مشكلات نواجهها جميعا في حياتنا اليومية. وحقيقة الأمر ـ كما أعتقد ـ هي أننا جميعا نفكر نظريا بطريقة نحن لسناعلى وعي بها غالبا. إذن Hما هي ا(شكلات التي نقوم جميعا من خلال الاستجابة لها بالتفكيرنظريا دون أن نعي ذلك? إن معظمنا يتأثر بطريقة ما بالأحداث التي هيخارج نطاق إرادتنا والتي لا تكون أسبابها واضحة للعيان Hفبعضها يقعفجأة وأخرى تكون بداياتها متدرجة لا تلفت النظر Hكأن يفقد أحد أفرادالأسرة عمله Hأو أن لا يقبل في الجامعة أو إحدى الكليات العلمية كما كانيتوقع Hأو أن تتوقف بعض الخدمات والبضائع فجأة من جراء إضراب Hأوبسبب السياسة الاقتصادية للحكومة ا(ركزية أو المحلية Hأو أن تفقد الأجوروعائدات الضمان الاجتماعي وإعانات العاطل Gومكافآت ا(نح الدراسيHةقيمها الأساسية أكثر فأكثر مع تقادم الوقت. قد ألجأ حينئذ إلى تجربة سابقة لي بصفتها مرجعي الأول Hأو قدألجأ إلى تجربة صديق حميم لي وجد نفسه في ا(أزق ذاته Hفأبحث عنا(لامح ا(شتركة في هذا الوضع: لعل الأمر يعود إلى ضغوط الوظيفة; وإذا أخافتني هذه التجربة أكثر وكنت بحاجة إلى إلقاءاللوم على كاهل شخص آخر غيري Hفقد أعزو ا(شكلة إلى تصرّفات معينةتقوم بها زوجتي في علاقتنا الحميمة. إذ تظهر عندنا في عملية إقامة ور_ ا اعتقد العامل أنه يقبض أجرا عادلا عن عملهفي اليوم Hالكن هذا العامل عند ماركس يخضع للاستغلال ا(نظم. وهذا بحد ذاتهيكفي لقبول الغرابة الظاهرة للنظرية الاجتماعية. لقد قلت أعلاه Hإن بإمكاننا أن نجعل النظرية أسهل ولكن لا \كننا أننجعلها سهلة. فمن المحال Hعلى سبيل ا(ثال Hأن نتتبع جذور النظرياتا(عروضة في هذا الكتاب وإرجاعها إلى ا(شكلات اليومية Hفهذه ا(شكلاتقد أخضعت سابقا لقرون من التفكير الفلسفي Hولتطور ا(عرفة قبل أنتظهر النظرية التي تتحدث عنها بتجريد. إن كل الدراسات التي ناقشها مارشال تعتمد على النظرية Hوحتى لو كانذلك مستترا Hوكما قال أحد مراجعي الكتاب Hإن علم الاجتماع سيبقىمجرد وسيلة إمبريقية مساعدة لعلوم أخرى Hإن لم تجر بعض المحاولاتللتوصل إلى إطار نظري عام. ويتمثل النشاط العلمي هنا في محاولة معالجة مظاهرمعينة للعالم الطبيعي Hبعزلها بشكل مناسب في أوضاع تجريبية Hالتنطبقعلى النموذج الإرشادى. فنحن على سبيل ا(ثال Hلن نتعلم الكثير عن رد فعلي إزاء العجز الجنسيبإلصاق علامة »الأبوية« على حالتي Hإذ علينا أن نب Gكيف أن طبيعةالأبويةتحدد عجزي ورد فعلي نحوه من ناحية Hوأن نب Gمن الناحية الثانية كيفأن هذه العمليات تتفاعل مع عمليات أخرى (مثل تغير سوق العمل الذيأعطى النساء فرصة أكبر للاستقلال بوظائف خاصة بهن H(وذلك من أجلأن نفهم ا(وقف بكل تعقيداته. غير أن الكثيرمن هذه ا(شكلات لا توجد لها حلول Hأو أنها ضعيفة الصلة _ا نحاول أننفعله Hالكنها مع ذلك قضايا مثيرة ومشوقة Hوأنا أعرف من تجربتي الشخصيةأن التعامل معها يجلب الكثير من ا(تعة Hمثل تلك ا(تعة التي يجلبها حل لعبةالألغاز الصعبة التي تظهر في بعض الأحيان في صحف يوم الأحد الرزينة. وأنا أرى أن بالإمكان الوصولإلى حلول تبدو عليها الأناقة في كلا طرفي المحاورة Hليس لأي منها نفعملموس للتحليل الاجتماعي Hفضلا عن كونها حلولا غير حاسمة. وهذا يعني أنه في ح Gأن النظرية يجب أنتسعى إلى الترابط الداخلي Hإلى الترتيب ا(نطقي Hفإن العالم ذاته كثيرا مالا يكون منطقيا أو هو منطقي بصورة أخرى مختلفة عن النظرية HوبالتاليfHإن النظرية يجب أن تكون قادرة على الاعتراف بهذا الاختلاف والتباين. وما أبتغيه الآن هو أن أنظر بعض الوقت في نطاقالنظريات التي يتعامل معها علماء الاجتماع حاليا ويتداولونها Hوفي كيفيةتنظيم تلك النظريات بطريقة تسهلها على الفهم.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي